ألف حكاية وحكاية (١٥)

جرس الإنذار

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى

الفجالة - القاهرة

جرسُ الإنذار

فى مدخلِ أحدِ الموانى، كـانَتْ هنـاكَ صخـرةٌ كبـيرةٌ وسـطَ المياهِ، معلَّقٌ فوقَها جرسٌ كبيرٌ، يدقُّ كلَّما هبَّـتِ الريـحُ وحرَّكتْـهُ، لتعرفَ السفنُ مكانَ الصخرةِ، فتبتعدَ عَنْها.

وحدَثَ أنَّ بحَّارًا كان يتنزَّهُ يومًا على تلكَ الصخـرةِ، وشاهدَ لافتةَ مكتوبًا عليها: "ممنوعٌ الاقترابُ من الجرس، لأنه قديمٌ." لكنَّ البحارَ تصوَّر أنه سيكون شيئًا مسليًا أن يتسلقَ إلى الجرسِ الضخمِ. وكانَتِ النتيجةُ أن سقط الجرسُ، وتحطمَ.

وبعدَ عـدةِ أشهرٍ، كانَتْ سفينةٌ تدخلُ الميناءَ ليلاً أثناءَ عاصفةٍ ثائرةٍ، فدفعَتْها الرياحُ ناحيةَ الصخرةِ، ولم يكنْ هنـاكَ جـرسٌ لينبِّـهَ الربانَ، فاصطدمَتِ السفينةُ بالصخرةِ، وتحطَّمَتْ، وغرقَ كلُّ مَنْ فيها.

وكانَ من بينِ مَنْ غرقوا، ذلـك البحارُ الذى استهانَ بالتحذيرِ، وحطَّم جرسَ الإنذارِ.





إنقاذ من الغرق

كان الحجّاجُ - حاكمُ العراقِ القويُّ القاسى فى القرنِ الأولِ الهجرىّ - يسبحُ ذاتَ يومٍ فى النَّهرِ، وأرادَ أن يذهبَ بعيدًا عن الشاطئ، فأحسَّ بالتَّعبِ، وبدأ يغرقُ.

ورآه رجلٌ، فقذفَ بنفسِهِ إلى الماءِ، وظلَّ يسبحُ حتّى وصلَ إليه، وعادَ به إلى الشاطئ. وكان هذا الرَّجلُ معروفًا بكراهيَّتِهِ للحجَّاجِ، فدهِشَ الحجَّاجُ، وقالَ للرجلِ:

"هل تعرفُ مَنْ أنا؟"

قالَ الرجلُ:

"نعم .. أنتَ الحجَّاجُ."

قالَ الحجَّاجُ:

"لكنَّهم زَعَموا أنَّك تبغضُنى .."

قالَ الرجلُ:

"صدقوا واللهِ !"

فزادَتْ دهشةُ الحجَّاجِ، وقالَ للرَّجلِ:

"فلماذا لم تتركْنى أغرقُ؟!"

قالَ الرجلُ الَّذى دفعَتْه شهامتُه إلى إنقاذِ الحجَّاجِ:

"واللهِ ماأنقذْتُكَ رغبةً فى إنقاذِكَ، لكنِّى خشيتُ أن تموتَ شهيدًا، فتدخلَ الجنَّةَ !!"



الدجاجة والنسر

رفعَتْ دجاجةُ رأسَها، فرأت طائرًا يحلِّقُ عاليًا فى السماءِ، وظلَّ يرتفعُ حتَّى اختفَى بين الغمامِ.

سألَتِ الدجاجةُ بلبلاً كان يقفُ بجوارِها: "مَنْ هذا الطائرُ الذى يطيرُ إلى كلِّ هذا الارتفاعِ؟"

أجابَها البلبلُ: "إنه النسرُ."

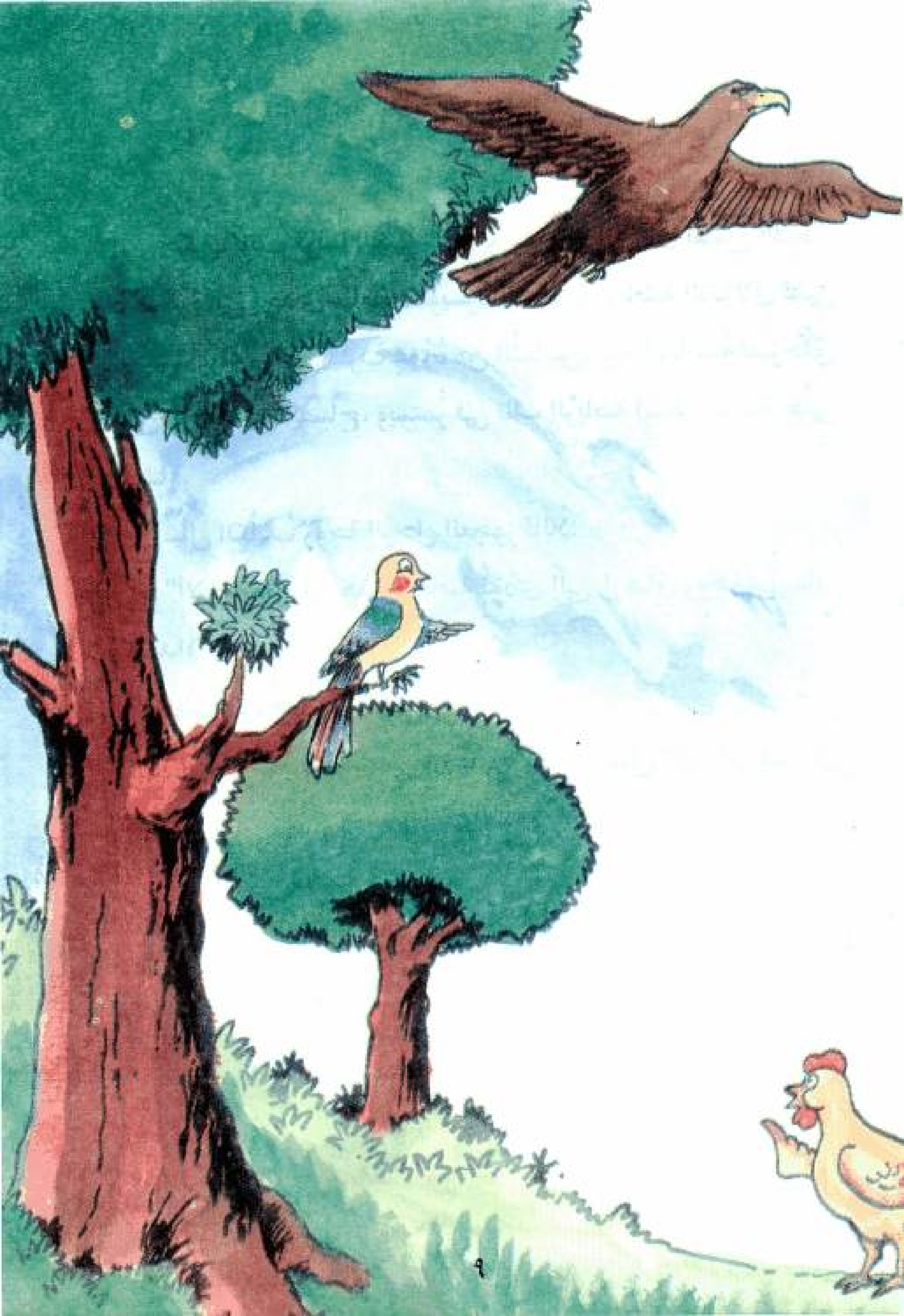
هزَّتِ الدجاجةُ رأسَها بالنفيِ قائلةً: "مستحيلٌ .. لقد رأيْتُ النسرَ بعينى فى السنةِ الماضيةِ .. إنه لا يعرفُ كيف يطيرُ .. يتدربُ على الطيرانِ، وما إن يبدأ محاولتَهُ، حتى يسقطَ إلى الأرضِ ضعيفًا مسكينًا."

قالَ البلبلُ: "كيف تنظرين إلى الأمورِ اليومَ بعينِ الأمسِ؟! لماذا لا تضعينَ فى اعتبارِكِ أن هذا النسرَ قد أجادَ الطيرانَ الآنَ؟! لقد أصبح اليومَ أمهرَ الطيورِ تحليقًا."

أصرَّتِ الدجاجةُ على عدمِ تصديقِ كلامِ البلبلِ، بل اتَّهمَتْه بأنهُ أبلهُ، صغيرُ العقلِ.

وعندما انقضَّ ذلك النسرُ على الدجاجةِ، وحملَها بين مخالِبِه إلى عشِّه العالى، شعرَتْ بالرعبِ أكثرَ مما شعرَتْ بالدهشةِ، ولم تستطعْ إنكارَ الحقيقةِ التى استنكرَتْها عندما سمعَتْها من البلبلِ، لكنَّ الوقتَ قد فاتَ لتستفيدَ بما عرفَتْ.





شباب القلب

حكى كاتبُ فرنسا الكبيرُ "أندريه موروا"، أنَّه كان يقضى الصَّيفَ ذات مَرَّةٍ فى إحدى مناطقِ سويسرا المشهورةِ برياضةِ الانزلاقِ على الجليدِ، ورأى رجلاً اقتربَ عمرُهُ من الثَّمانينَ، يبدأ رياضتَهُ للتَّزحْلُق على الجليدِ فى الصَّباحِ، ويستمرُّ فى تلك الرِّياضةِ الشَّاقةِ العنيفةِ حتَّى المساءِ.

سألَ الكاتبُ زوجةَ الرَّجلِ العجوزِ قائلاً:

"ألا تعتقدينَ أنَّ هذه الرِّياضةَ تُؤدِّى إلى إرهاقِ زوجِك إرهاقًا شديدًا؟".

قالَتِ الزَّوجةُ:

"إنَّها تُرهقُهُ، لكنَّه يتمنَّى أن يصبح من أبطالِ الانزلاقِ قبل أن يموتَ".





جحا يعمل بالنصيحة

يُحكَى أنه كان يوجدُ فى إحدى القرى عمدةٌ ظالمٌ، إذا جاءَ إليه مذنبٌ وأعطاهُ هديةً ثمينةً، خرجَ من عندِهِ بريئًا. وإذا جاءَ إليه فقيرٌ وله حقٌّ عندَ آخرَ، خرجَ من عندِهِ مذنبًا ومحكومًا عليه !!

وكان جحا يعيشُ فى تلك القريةِ، ويحبُّ أهلَها الفقراءَ، فلم تعجبْهُ تلك التصرفاتُ.

ذهبَ جحا إلى العمدةِ، وهو يرتدى ثيابًا فاخرةً. وعندما رآهُ العمدةُ انبهر بهذه الثيابِ. وعلى الفورِ، خلعَ جحا الرداءَ، ووضعَهُ على كتفَيِ العمدةِ، وقالَ له:



"جئتُ إليك يا سيدى طلبًا للنصيحةِ. كان عندى عبدٌ أرعاهُ، واليومَ تركَنى وذهبَ إلى غيرى، فماذا أفعلُ؟".

قال العمدةُ: "هذا أمرٌ بسيطٌ، ابحثْ عن عبدِك وعاقِبْهُ. اجلِدْهُ دونَ رحمةٍ، حتى لا يتركَكَ مرةً أخرى !"

هنا أخرجَ جحا سوطًا كان معهُ، وانهالَ على العمدةِ ضربًا، والعمدةُ يصرخُ ويستغيثُ، فقال له جحا:

"ماذا بكَ يا سيدى العمدةَ؟ ! إننى أنفذُ حكمكَ. فهذا الرداءُ كان عبدِى الذى يخدمُنى، وقد تركنى وذهبَ على كتفَيْكَ، وأنا أجازيهِ على خيانتهِ !!"

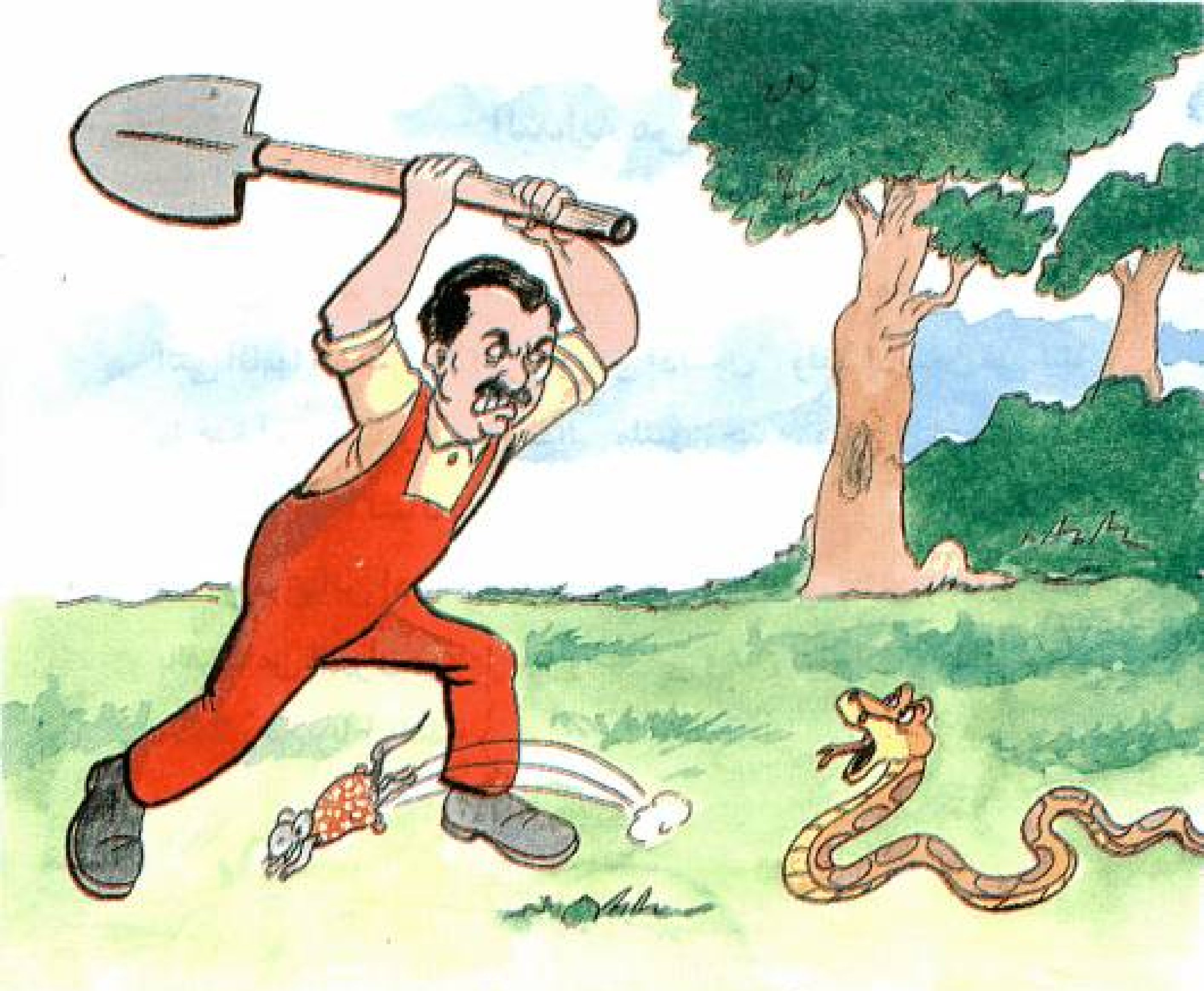
هنا أسرعَ العمدةُ، وخلعَ الرداءَ، وألقاهُ على الأرضِ، فأخذهُ جحا، وأسرعَ يختفى بعيدًا عن غضبِ العمدةِ وانتقامهِ !!



الفأرة والثعبان

يُحكَى أن فأرةً كانَتْ تعيشُ فى جحرٍ متسعٍ، تحفظُ فيه جميعَ أنواعِ الحبوبِ والفواكهِ التى كانَتْ تجمعُها من بستانٍ مجاورٍ. وذاتَ يوْمٍ، خرجَتِ الفأرةُ للتنزُّهِ، فمرَّ ثعبانٌ بجوارِ مسكنِها، فأعجبَهُ، فدخلَ إليه واستوطنَهُ.





فلما رجعَتِ الفأرةُ إلى بيتِها، وجدَتِ الثعبانَ فيه، ورأت أنها لن تستطيعَ مقاومتَهُ بنفسِها، ففكرَتْ في حيلةٍ لإخراجِهِ. فراقبَتْهُ إلى أن خرجَ ذاتَ يومٍ اشتدَّ فيه الحرُّ، ونامَ بجوارِ جذعِ شجرةٍ. وأسرعَتِ الفأرةُ تجرى هنا وهناك، فوجدَتِ البستانيَّ ينامُ في الظلِّ، فظلَّتْ تتواثَبُ على وجهِهِ، حتى قامَ غاضبًا، وانطلقَ يطاردُها، وهي تجرى أمامَهُ، حتى أتَتْ به إلى الثعبانِ.

وعندما رأى البستانيُّ الثعبانَ، نسِيَ الفأرةَ، وقتلَ الثعبانَ، وعادَتِ الفأرةُ إلى جحرِها سعيدةً مطمئنةً.

البداية من جديد

فى ديسمبر سنة ١٩١٤م اشتعلَتِ النِّيرانُ فى المصانعِ الواسعةِ الَّتى أقامها المخترعُ الكبير "توماسَ إديسون". وفقَدَ إديسون فى ليلةٍ واحدةٍ أجهزةً تبلغُ قيمتُها حوالى مليون جنيهٍ، وراحَ أكثرُ ما سجَّلَهُ فى حياتِهِ من اكتشافاتٍ ضحيَّةً للنِّيرانِ.

وأسرعَ ابنُ إديسون يَجرى باحثًا عن أبيه، حتَّى وجدَهُ يقفُ بالقُربِ من النَّيرانِ، وقد احمرَّ وجهُه فى وهجِ النِّيرانِ، وتطايرَ شعرُهُ الأبيضُ مع رياحِ الشِّتاءِ.





وقالَ الابنُ بعد ذلك: "كان قلبى يتمزَّقُ من أجلِ أبى، فهو لم يعُدْ شابًا، وقد دمَّر الحريقُ كلَّ ما يملكُ."

ورآنى أبى، فصاحَ قائلاً: "أين أمُّكَ؟ ابحثْ عنها وأحضِرْها إلى هنا، فهى لن تشهدَ شيئًا كهذا مرَّةً أخرى فى حياتِها."

وفى صباحِ اليومِ التَّالى، انطلق إديسون الَّذى يبلغُ السابعةَ والستينَ من عمره، يطوفُ بالرَّمادِ الذى تخلَّفَ عن احتراقِ كثيرٍ من آمالِهِ وأحلامِهِ، ثُمَّ قالَ: "إنَّ لهذه الكارثةِ قيمةً كبرى، فإنَّنا نستطيعُ أن نعيدَ بناءَ كلِّ شىءٍ، مع تجنُّبِ كلِّ ما سبقَ أنْ وقعْنا فيه من أخطاءَ. وإنى أشكرُ اللَّه، لأنَّنا نستطيعُ أن نبدأ من جديدٍ."

تنكر

اشترى الممثلُ الكوميـديُّ المشهورُ كلبًا صغيرًا ضئيلَ الحجمِ.

وبينما كان يسيرُ يومًا في الشارعِ والكلبُ إلى جوارِهِ، اقتربَتْ منه سيدةٌ عجوزٌ وقالَتْ له: "أي نوعٍ من الكلابِ هذا الكلبُ؟"

فابتسمَ الممثلُ وقالَ: "إنه كلبٌ بوليسيٌّ."

فنظرَتِ السيدةُ في دهشةٍ وقالَتْ: "إن شكلَهُ لا يدلُّ أبدًا على أنه كلبٌ بوليسيٌّ."

فوضعَ الممثلُ أصبعَهُ على شفتَيْهِ، وتلفَّتَ حولَهُ في حذرٍ، وأشارَ إلى السيدةِ أن تقتربَ إليه، ثم همسَ في أذنَيْها قائلاً:

"إنه لا يحبُّ أن يظهرَ في شكلِ الكلبِ البوليسيِّ، فهو يعملُ في البوليسِ السريِّ !!"



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها من الأدب الشعبي، والعربي القديم، والعالمي.